مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 01 السنة 2021 ص 213 - 224

تاريخ الإرسال: 2020/01/19 تاريخ القبول: 2020/09/26
تاريخ النشر: 2021/01/30

حجاجية التكرير في مقامات الحريري

The Argumentative Repetition in Elhariri's Denominators

محمود شمس الدين[1] ، سليمة مدلفاف[2]
جامعة علي لونيسي البليدة 2 ، em.chemseddine@univ-blida2.dz
جامعة علي لونيسي البليدة 2، s.medelfef@univ-blida2.dz

الملخص:

اتّخذت الدراسات الحجاجية الحديثة صفة الاستقلالية عند كثير من الباحثين لتعدد المجالات التي تنهل منها، ولانفتاحها على مناهج نقدية وعلوم لغوية كثيرة، فجعل الحجاج من اللغة قناة للإقناع، وجسرا يربطه بالمتلقي كونها الأداة اللفظية لنقل المعنى، ويعد التكرير من أهم البنى اللغوية التي يغلب استخدامها في النصوص التراثية، لما لها من أثر في تأكيد المعنى وللوصول إلى التأثير الفعلي، الذي يسبقه التأثير الذهني أو العاطفي عند المتلقي.

في إطار هذا التصور: حجاجية التكرير في مقامات الحريري يرتكز ما نرومه في هذا المقال من دراسة وصفية تحليلية تجمع بين النظرية والإجراء، أين سنقف على حجاجية التكرير عند علم من أعلام البيان العربي القديم وأثرها في المُتلقي إقناعا وتأثيرا وتوجيها.

الكلمات المفتاحية: حجاجية التكرير، الحجاج، الأدوات اللغوية، مقامات الحريري.

Abstract:

The modern argumentative studies have been independent for many researchers due to the diversity of fields ,

the openness to critical approaches and many linguistic sciences.The argumentative approach has turned language a way to persuasion and a bridge that links him with the receiver since it is the expressing tool that conveys meaning.Repetition is considered one of the most important linguistic structures which are mostly used in classical texts since they have great influence in emphasizing the meaning and in reaching the true influence which is preceded by mental and emotional influence for the receiver.

In this concept, the argumentative repetition in Elhariri's denominators depends on what we aim through this essay by an analytical and descriptive study that combines theory and application where we stand witness on argumentative repetition by an outstanding figure of the classical Arabic eloquence and its influence on the receiver concerning persuasion, influence and orientation.

Keywords: argumentative repetition, argumentation, linguistic tools, Elhariri's denominators

المؤلف المرسل: محمود شمس الدين، MAH111128@YAHOO.COM

1.مقدمة:

يُعدّ الاهتمام باللغة قطب الرحى في مختلف الدراسات العلمية والمعرفية، ممّا يؤهلها لمسايرة تطور الحضارات الإنسانية، ويعد الحجاج من المناهج التي توسّلت بالأدوات اللغوية للتغلغل في النصوص الأدبية، للكشف عن قابلية المحاججة داخل العقول، وحملها على الاقتناع ،والامتثال لما يطرح عليها؛ ولقد عمد الحريري في مقاماته إلى استعمال تقنية التكرير (شكلاً ومضموناً) ما أكسب نصوصه بُعدا حجاجيا إضافيا، لما لهذه الأداة اللغوية من أثر في تأكيد المعنى، وزيادة حجية ما يطرح على السامعين من حجج، ولتؤكد أن المقامات تعد خطابا حجاجيا بامتياز فهي

تقوم على الكدية، والتي يُتوسّل فيها بكل الطرائق والوسائل اللغوية، وغيرها لبلوغ الهدف المنشود.

في إطار هذا التصور: حجاجية التكرير في مقامات الحريري يرتكز ما نسعى لكشفه من خلال الوقوف على آليات التكرير الحجاجية، وكيف وظّفها الحريري عند أبطال مقاماته باعتبار الكدية تقوم أساسا على الحيلة والخداع، ويُتوسل فيها بالحجج الباعثة على التصديق، والتسليم لما يطرح عليها من قضايا، فكيف استغل الحريري التكرير لبلوغ غاياته الخطابية والحاملة لأبعاد حجاجية.

2. بنية التكرير :

تعدّ اللغة الأداة اللفظية لنقل المعنى، وهي في الحجاج الوسيلة لفرض سلطة على الآخرين « من نوع استدراجهم إلى الدّعوى المعبر عنها وإقناعهم بمصداقيتها، وهو أمر يرغب في البحث عن بدائل لغوية لم نألفه في مواقف غير حجاجية »[1]، وأهم البُنى اللغوية التي يغلب استخدامها في النصوص الحجاجية العربية بنية التكرير، وللتكرير أهداف وغايات متعددة، سنقف عليها من خلال ورودها في مقامات الحريري، فكان تكرار الحروف وتكرار الألفاظ فالجمل الكاملة دالاً على أهمية التكرير في الإفهام وتأكيد الرأي في الأذهان وصولا إلى حمل السّامعين على الإذعان والتسليم لما يطرح عليهم « بمعنى أن التكرار يوفّر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي، وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حمله على الإذعان؛ ذلك أن التكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردّد المحتج لفكرة حجّة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها، ورسخت في ذهن المتلقي، وإن ردّد رابطا حجاجياً أقام تناغماً بيّنا بين أجزاء الخطاب وأكّد الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقي بها »[2]،

وبذلك يعد التكرير أداة لغوية فاعلة في تأكيد المعنى وزيادة درجة الحجة لدى السامعين، ويمكن أن نميز بين نوعين من التكرير.

3. تكرير الشكل :

وجدير بالذكر أنّ بعض حالات التكرير لا تتجاوز الوظيفة السبكية: أو أنْ « تكون الوظيفة هي الوصف في نحو جيلا بعد جيل ،أي أجيالا متتابعة ،ولكننا لا نرى في غيرها إلا وظيفة سبكية خالصة cabesive function يقتضيها التركيب ،لا بلاغية يقتضيها المقام »[3]، ويمكن التمييز بين أنواع ثلاثة للتكرير على مستوى الشكل وهي:

3 . 1 تكرير المكرر بعينه :

سواء أكان لفظا مفردا أم غير ذلك في منطوق واحد، وجاء في المقامة "الإسكندرية" قوله : « فأقسم بين رهطه إنّه وفق شرطه ،وادّعى أنّه طالما نظم درّة إلى درّة ،فباعهما ببدرة »[4]، وتكرير "درة" هنا تأكيد على ادعاء من أقسم أمام الجمع بأنه حريص على جمع الجواهر وبيعها بأغلى الأثمان، فكان تكرير المنطوق "درّة" تثبيتا للادعاء، فلم يكتف بالقسم بل زاد في الإفهام بجلب انتباه السامعين إلى سعة رزقه وتمكنه من تجارته، فيكون بذلك قد أقام الحجة في كونه أهلا للزواج بمن بالغ أهلها في مهرها؛ إلى أن يقول : « إلى أنْ مزَّق مَالي بأسره وأنفق مَالي بأسره ،وأنفق مالي في عسره »[5] فدلت عبارة "مالي" في الأوّل على جميع المال من دراهم ومتاع، وأمّا الثانية فدلّت على المال من الدراهم . أي أنّ تفريق المال يشمل المال كله منقوله وثابتة فهو النقود والأرض والأنعام وغيرها، أما الإنفاق في المال فمقتصر على النقود دون سواها فكان ذكر عبارة "مالي" تأكيدا على أنّ ما جُمع من مصادر متعددة أُنفق من طريق واحد، فكانت الحجة حاملة لجرس موسيقي تتابع فيه ذكر "مالي" برابط لفظي "بأسره" دالاً على تأكيد الحجة في أنّ المال كله قد أنفق، ويمكن

القول أن التكرير « قادر على الاضطلاع بدور حجاجي هام متى اعتمد في سياقات محددة، وتوفرت فيه شروط معينة، فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعد من أفانين القول الرافد للحجاج المدعمة للطاقة الحجاجية في الدليل والبرهان لما له من وقع في القلوب، لاسيّما في سياقات خاصة كالمدح والرثاء »[6]، يتضح من هذا كله ما يضطلع به تكرير اللفظ بعينه من دعم لحجة الباث وإمداده بسلطة قولية داعمة له.

3. 2 التكرير في هيئة عنصرين من مادة واحدة :

ومن التكرير في هيئة عنصرين من مادة واحدة ما جاء في المقامة "البرقعيدية " « فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس ،وفراستي فراسة إياس »[7]، وهذه الآلية تؤكد عند السامع مقدرة المتكلم على الإقناع بالحجة من خلال استحضار ما هو عالق بالأذهان من مآثر السابقين، وفي هذا تأثير على السلوك بالاعتماد على مبدأ التجانس، وجاء في المقامة الإسكندرية « وإلاّ كشفت عن لبسك ،وأمرت بحبسك ،فأطرق إطراق الأفعوان، ثمّ شمّر للحرب العوان »[8].

ويستمر مبدأ التجانس اللفظي في استمالة السامعين حيث يقول: « فأحجمت عن القول إحجام المرتاب وطويت ذكره كطيّ السجل للكتاب، إلاّ أنّي قلت بعدما فصل، ووصل إلى ما وصل، لو أنّ لنا من ينطلق في أثره »[9] . كما نقف في المقامة " الرَّحَبِيّة " على أهمية التكرير في هيئة عنصرين من مادة واحدة وماله من بالغ الأثر في تأكيد المعنى واستعطاف الحَكَم في الخصومة بتقديم الحجة. « فقال الشيخ: أقبل منك على أن ألازمه ليلتي ،ويرعاه إنسان مقلتي، حتى إذا أعفي بعد إسفار الصبح، بما بقي من مال الصُّلح، تخلّصت قَائِبَةٌ من قُوب وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب »[10].

وفضلا على تأكيد الحجّة بإيراد التكرير، فإنّ استعمال المثل في قوله: " تخلّصت قائبة من قوب " يزيد من درجة الحجّة ودحض الخصومة، وأصل المثل أنه يضرب للتخلص من الالتزام المتفق عليه، ثم يزيد في إلزام الوالي بالعقد الذي يقدمه بإيراد حجّة تزيد في درجة إذعان الخصم، فيقول وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب زيادة وتأكيدا عند الوالي في أنّ الشيخ أصاب فيما ذهب إليه من ظنّه بالغلام.

3.3 تكرير بتغيير التركيب :

وفي هذا النوع من التكرير تأكيد للمعنى بعبارات مختلفة تصب في نفس الاتجاه، فتكون تأكيداً لمعنى واحد وهذا ما يزيد في درجة الحجة، ونذكر من هذا التكرير ما جاء في المقامة "السنجارية : « وإنْ نطقت عقلت لبّ العاقل، واستنزلت العصم من المعاقل وإن قرأت شَفت المفؤود، وأحيت الموءود، وخلتها أوتيت من مزامير آل داوود، وإن غنّت ظل مَعْبَدٌ لها عبدًا، وقيل سحقا لإسحاق وبُعداً. وإنْ زَمَرَتْ أضحى زُنَامٌ عندها زَنيماً، بعد أن كان لجيله زعيما، وبالإطراب زعيما »[11]، يظهر جليا ما للتكرير بتغيير التركيب من أهمية في ترسيخ الحجة، فقد أورد ما يدل على جمال صوت الجارية، وأكّد هذا المعنى بتراكيب متعددة تصب جميعها في حجة واحدة فحواها تميز الجارية عن قريناتها بجمال وعذوبة صوتها.

ونجد في المقامة الزبيدية موقفا لغلام بسوق النخاسة استرجع فيه معنًى أقام به حجة على الحارث بن همّام حين أعجب به وأقدم على شرائه وسأله عن اسمه فأجاب:

يا من تلَهّبَ غيْظُهُ إذْ لَمْ أبُحْ * باسمي لهُ مَا هَكَذا مَنْ يُنصفُ
إن كان لا يُرضِيكَ إلاَّ كشفُهُ * فأَصِخْ لَهُ أنا يُوسُفُ أنا يوسُفُ
ولقد كشفت لك الغِطاء فإن تَكُن * فطِنًا عرَفتَ وما إخالُكَ تَعْرِفُ[12]

وتكرير الغلام لعبارة " أنا يوسف " فيها دلالة على أنّه حرٌّ لا يجوز بيعه، وهي إشارة إلى بيع سيدنا يوسف عليه السلام. ويبرهن الغلام على دعواه وما أراده بذكره لـ "أنا يوسف" وتكريرها في إقامة الحجة على الحارث بن همّام فتكون بيِّنَةً واضحة حيث يذكّره الغلام إذْ يقول :

ويْكَ أَمَا نَاجَتْكَ هاتيكَ المُلَحُ * بأنّني حُرٌّ وبيعِي لَمْ يُبَحْ

إذْ كَـــان في يـــــوسفَ معنىً قَدْ وَضَحْ[13]

وستكون العبارة المكررة " أنا يوسف " وقوله " ويك أما ناجتك هاتيك الملح " بأنني حر وبيعي لو يبح " ستون حجة للغلام على الحارث عند القاضي الذي اختصما إليه، فقد أدرك الحارث عند سماعه "إذْ كان في يوسفَ معنىً قد وضح " أنّ الغلام لم يكن عبداً مملوكاً، وبيعه في سوق النخاسة إنما كان عن اتفاق مسبق بينه وبين سيّده المزعوم، وهذا ما يجعل القاضي يحكم للغلام ويلوم الحارث على عدم فهمه للغلام حين ألمح له باسمه مكررا له. فكان حكم القاضي لصالح الغلام رغم قناعته بأنه قد شارك أباه (السّروجيّ) في الاحتيال على الحارث بن همّام، وكأني به يتناص مع حكم القاضي الذي برّأ امرأة العزيز وسجن يوسف عليه السلام، وهو يعلم ببراءته. وجدير بالذكر أنّ للتكرير اللفظي « بهذه الأشكال المختلفة وقع في القلوب وأثر بليغ في الأسماع والأذهان مما يجعله رافدا مهما للحجاج في الأبيات »[14]. لقد أدرك الحريري سلطة الألفاظ الحجاجية عندما توظف داخل الكلام المنظوم، فكان أن جمع بين سجع القول وسلطة الحجة الدينية ليحمل السامع على التعاطف مع الغلام، رغم إدراك ما كاده من مكر للحارث بن همّام.

4. تكرير المضمون :

ونعني به تكرير المحتوى، ويرتكز على مكونات لغوية تكون إمّا مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى، ويمكن أن تحل إحداهما مكان الأخرى، ويأتي بها

المحاجج لتثبيت حجته، وحمل المتلقي على الاقتناع بما يطرح عليه من قضايا وآراء وغاية تكرير المضمون تكون مسهلة ومرسخة للنتيجة المرجوة؛ أي إنّ « الناطق يحتاج في دليله إلى استخدام المقدمات التي تكفي لحصول النتيجة المطلوبة، فقد يحتاج إلى أكثر من مقدمة واحدة، كما أنه قد يطوي منها ما يعلم أنّ الغير محيط به، أو مشارك له في معرفته، وقد يغير ترتيب دليله، فيبدأ بذكر النتيجة ثم يأخذ في التدليل عليها»[15]. وهذا لا يتأتى إلا باستعمال أدوات لغوية تحمل نية المتكلم في إقامة الحجة على دعواه، وهذا ما يؤهل اللغة لحمل أبعاد متجاوزة لظاهر القول، ويمكن القول بأنه « يترتب على قاعدة القصد أمران أساسيان: أحدهما وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة، والآخر إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول »[16]، وهذا يؤكد ما للتكرير من قوة حجاجية داعمة، ففضلاً عن تأكيد المعنى وترسيخه عند السامعين، يزيد في درجة الحجة بفضل ما يقدمه من جرس موسيقى، يأخذ المتلقي من احتمالات قرائية متعددة للّفظ الواحد إلى قراءة واحدة للّفظ المكرر سواء كان هذا التكرير باللفظ عينه أو بمرادفه.

ويمكن أن نميز بين أنواع عديدة للتكرير، ونذكر بعض ما ورد منها في مقامات الحريري:

4. 1 تكرير مفردة بذاتها أو بمرادفاتها :

ويكون هذا النوع بتكرير مفردة بذاتها أو بمرادفاتها في جملة واحدة أو جمل متتالية لمعنى واحد أو معنى عام واحد، ويعدّ هذا النوع من أكثر أنواع التكرير شيوعا، وسنذكر بعض الأمثلة عن وروده في المقامات الحريرية، ومنه ما جاء في المقامة الصنعائية على لسان الحارث بن همّام؛ حيث قال لما دخل صنعاء عن حالته المادية: « فدخلتها خَاوِيَ الوفاض باديَ الإنفاضِ، لا أملك بُلغَةً، ولا أجد جرابي مضغَةً »[17] .

ويعبر الحارث عن حالته وعوزه بألفاظ داعمة للحاجة الشديدة وانعدام للمال وللزاد معا، فكانت حجة إضافية وتأكيدا للمعنى، كان يمكن أن يستغني عن تكرير الألفاظ الدالة عليه والاكتفاء بلفظ واحد، وفي المقامة نفسها يعبر عن حالته وعدم استقرار الرأي عنده في التوجه إلى مكان محدد، حيث يقول: « فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم، وأجول في حوماتها جولان الحائم »[18]؛ وهنا يؤكد الحارث أنه يجوب طرقات صنعاء ذهابا وإيابا كالحيوان في قوله: "فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم "، وهذا وصف يحمل التعميم لجنس الحيوان كاملاً، ثم يضيف "وأجول في حوماتها جولان الحائم"، وهو يؤكد المعنى الأول بتخصيص العام، فالحائم هو طائر اشتد به العطش، فورد ماء فحام عليه، وهذا تكرير حمل اللفظ من دلالته العامة إلى دلالة خاصة لتكون صورة التشبيه أبلغ في حجيتها.

4. 2 تكرير مفردتين في ثنائية :

وفي هذا التكرير يجعل الباث خطابه حاملا لصور مختلفة، غير أنها تصب في غاية عامة واحدة، فيكون تنوع الألفاظ واختلافها محيلا على نهاية مشتركة، كقول الحارث بن همّام لمّا حلّ بسمرقند: « وكنت يومئذ قويم الشَّطاط جموح النّشاط، أروي عن قوسي المراح »[19]، والحارث هنا يذكر نشاطه وهو في أوج شبابه ومقدرته على سرعة التحرك، وقد عبّر عن هذا بألفاظ عديدة تشترك جميعها في نتيجة واحدة، « فالمتكلم حينئذ يوهم بتقدم الخطاب الحجاجي وبتنويع الحجج والبراهين المقدمة لصالح أطروحة معينة، ولكنه في واقع الأمر يستعيد ما قاله، ويكرر ما استدلّ به فهو تكرار مُغالطي أو مضلل، ولكنه فاعل في المتلقي لخفائه وعجز المتلقي عن اكتشافه لأول وهلة »[20]؛ فتكرير المضمون بألفاظ متعددة تحمل دلالة مشتركة تعدّ حجة إضافية، تحمل على الاقتناع والتصديق لما يُعرض من أطروحات.

ومن هذا النوع من التكرير ما جاء في المقامة الصعدية من إخبار الحارث بن همّام ببعض صفات قاضي صعدة، حيث يقول فيه: « فنُعت لي ،قاض بها رحيب الباع خصيب الرباع تميمي النسب والطباع »[21]، وبذكره لخصال اجتمعت في قاضي المدينة فكان رحيب الباع، وهي كناية عن سعة عطاياه وكرمه، ثم يؤكد المعنى نفسه بقوله: خصيب الرباع، فيُحمّلها دلالة يسر الحال والقدرة على البذل، ثم ينسبه إلى قبيلة تميم وهي التي عرف عنها المجد ومكارم الأخلاق، وكان بالإمكان أن تغني لفظة واحدة عن بقية الألفاظ التي خصّه بها، إلا أن تأكيد المعنى جعله يفضي على القاضي بصفات تؤكد ما قصده لتكون حجة عند السامعين في أنّ قاضي صعدة موصوف بمكارم الأخلاق، « إنّ المرء مثلما يخشى شنيع الآراء ويحذرها يخشى إنكار الإجماع أو عدم قبوله حجة لأسباب عديدة يتزاوج فيها ما هو ديني بما هو أخلاقي وسياسي واجتماعي »[22] . يتضح أنّ العرف الاجتماعي يمتلك طاقة إلزامية، ينصاع لها الأفراد انطلاقا من شعورهم بالتسليم لكل ما هو مقبول عند أفراد مجتمعهم .

5. خاتمة :

إنّ تناول التراث الأدبي العربي بالدراسة والتحليل يجب أن يكون قائما على أسس علمية موضوعية، يُتوسل بها للوصول إلى نتائج تكشف لنا الأدوات والآليات اللغوية التي استعملها منتج النص، ولقد استطاع الحريري أن يجعل من التكرير آلية لإيصال المعنى وتأكيد حجاجية أقواله، انطلاقا من كون اللغة تحمل في داخلها طاقة حجاجية، تجعلها بفضل تكرير اللفظ أو المعنى أكثر تأثيرا في المتلقي، فتحمله على التسليم لما يعرض عليه من أفكار، ويمكن في نهاية مقالنا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج نذكر أهمّها وهي:

*- يعد الحجاج فعلا لغويا غائيا، يسعى الباث من خلاله إلى حمل المتلقي على الإذعان والاقتناع بواسطة التكرير آلية لغوية يحددها المقام الخطابي.

*- يقوم التكرير بوظيفة حجاجية إضافية بفضل تأكيده للمعنى عن طريق جرس موسيقي يترسخ عند السامع، فيحمله على الاقتناع.

*- يزيد التكرير في درجة الإذعان باعتباره زيادة في تأكيد المعنى خاصة إذا كان تكريرا في المضمون، فيكون استحضارا لقيم متعددة تصب في خدمة قضية محددة.

*- يمكن أن يتحوّل الملفوظ إلى حجة إذا تكرر، فتكون بذلك العبارة الواحدة حجة أو نتيجة.

*- وظف الحريري التكرير أداة تحكمت في تسلسل الأفكار وتناسقها، فكانت حججا في مقام تواصلي، جمع بين الجوانب الأخلاقية والوجدانية والمنطقية.

5.المراجع

[1] محمد العبد ، الحجاج مفهومه ومجالاته ،ج2 ،عالم الكتب الحديث ،ص 33 .

[2] سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ،عالم الكتب الحديث ،ص 168.

[3] محمد العبد ،ص 37 .

[4] أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري ، مقامات الحريري ،دار الكتب العلمية ،ص 89.

[5] المصدر نفسه ،ص 89 .

[6] سامية الدريدي ،ص 168 .

[7] مقامات الحريري ، ص 74 .

[8] نفسه ، ص 90 .

[9] نفسه ،ص 96 .

[10] نفسه ،ص 103 .

[11] نفسه نص 180 .

[12] نفسه ،ص 363 .

[13] نفسه ،ص 367 .

[14] سامية الدريدي ،ص 171 .

[15] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ،المركز الثقافي العربي ،ص 140 .

[16] نفسه ،ص 250 .

[17] مقامات الحريري ،ص 17 .

[18] نفسه ،ص 17 .

[19] نفسه ،ص 284 .

[20] سامية الدريدي ،ص 172 .

[21] مقامات الحريري ،ص 391 .

[22] عبد الله البهلول ، الحجاج الجدلي ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،ص 150 .